

## فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

## ٢٦- تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

## الانسان

للأستاذ خليل هنداوي

لكل فلسفة أجل موقوت ، تظهر فيه حجتها على الناس . وكل فيلسوف يضم شتات فلسفته ويحبسها ضمن نظام منطقي كأنها عمل عقلي محض ، ألا إن هذا باطل ، فإن الحياة الواعية في كل إنسان لها جذور تمتص من الحياة غير الواعية فيه ؛ وإن حبه لمعرفة الحقيقة يعود إلى غريزة فيه قوية خفية . عد إلى المذهب الفلسفي الممدى المجرد من كل شخصية ومن كل هوى تجسد شيئاً ينزل منزلة الايمان فيه ؛ وما نظريات الفيلسوف في الحقيقة إلا بنات مذكراته واعترافاته . إن هذا الفيلسوف ليس في الحقيقة - كما يخيل لنا - مفكراً خالصاً ، ولكنه عماد خبيث يذب عن اعتقاداته الوهمية ولا سيما الأدبية منها . يجرب أن يجعل من اعتقاداته لحقائق ثابتة ورساير نافذة . على أن هذه الاعتقادات التي تنطوي عليها المذاهب الفلسفية التي تريد أن توجه الحياة في سبيلها ، إنما هي اعتقادات مستمدة من المثل الذي يبشر بالزهد والمسكنة . . . وهكذا لم يكن الكاهن والفيلسوف بمخمين - كما يبدو ظاهر الأمر - وإنما صاحبان وإن كانا لا يدريان

هذا هو ( كانت ) أبو الفلسفة الألمانية لا يرى فيه نيتشه إلا كاهناً مسيحياً تطور في بطن حالته . وخلصه فلسفته أنها تضع « شمبتين » من شمبها خارج القوة العقلية ؛ في الأولى تلهج بعالم حقيق مبان لهذا العالم البني على الظواهر والحوادث ، وفي الثانية تؤمن بالشرعية الأدبية الخلقية أنها مقدره تقديراً . وإذا جرد المحقق هاتين الشمبتين وجد أنهما وليدتا نظريات الشرعية المسيحية ذاتها . إذ ما هو الايمان بعالم حقيق غير هذا العالم ؟

أبست هذه الفلسفة تنطوي على الفكرة التي يبشر بها علم اللاهوت ، فالآله هو الملة الأولى للوجود الذي تلقغه الحواس ، وحياة الانسان الحقيقية هي الحياة في الله ، وهكذا أخذ النظريون ففكرة القول بالآله صالح ، بالآله المتألمين ، ودققوها وسموا بها وبدلوا لونها حتى أحاطوها عنكبوتاً ضخماً ينسج الوجود من خيوطه . فكان منه « المثل الأعلى » والمقل الخالص ، والواحد المطلق ، والشيء القائم بذاته ؛ على أن هذا الشيء القائم بذاته ، وهذا العالم الحقيقي انهما - إذا تجردا - إلا العدم الخالص

ان آله المسيحيين - كما يراه نيتشه - هو آله كل ما يتألم ، وكل ما ينجح الى الموت ؛ وهو بدلا من أن يبشر كآلهة الوثنية بما يقضي على الحياة من بهجة ونعيم ، ويبث الارادة القوية التي تقول للحياة : « بلى » ، ولكل ما يحمله « بلى » ؛ تراه يحمل الناظر الى كل منحط خسيس في فؤاد الانسان ، بكره الحياة الحقيقية ولا يحمل لها إلا مقتاً ؛ ويجعل رجاءه في حياة وهمية ثانية . إن عالم النظريين مماثل في حقيقته هذا العالم المسيحي . إنه كلمة فارغة من كل حقيقة ؛ إن الآله المسيحي هو علامة « سلب الحياة » ، والآله الفلاسفة هو العدم الخالص

وتلك الارادة التي تمثل هذا الآله إن هي إلا الجنوح الى الفناء . وإن أبرز هؤلاء الفلاسفة الذين يمتدنون بأنهم مارقون من كل دين وكل إيمان هم في الحقيقة رجال إيمان لا يتزعزع . إن هؤلاء العلماء والفلاسفة اللابسين أبواباً مختلفة إيماناً باسم لباس واحد يلقبهم ويضم بينهم ، هو لباس الزهد

لنحلل مُتَمَقِّدَم : أن إرادة إدراك الحقيقة - مهما كان ثمنها - تهيأ في طريقين مختلفين : تقول « لا أريد أن أخدع ! » أو تقول « لا أريد أن أخدع نفسي ولا أخدع أحداً » أما القول الأول فهو بعيد عن الحقيقة ، لأن الانسان لا يقدر على أن يسمو إلى الحقيقة بفضيلة منه أو خشية إذا كان يثق في نفع هذه الحقيقة السامى إليها . ولكن الحقيقة هي أنه إذا كانت هنالك حقيقة بدأت تنجل شيئاً فشيئاً للعقول المستنيرة فعلى أن الوم ذو فائدة للوجود وضروري له كالحقيقة . وفي اعتقاد نيتشه أن الوم والكذب هما من الجواهر اللازمة للحياة

إصرامة الذنوسك والزهد التي دفعت الانسان إلى أن يضحي  
- في سبيل آلهه - بكل ما يملك يده ، فكان الانسان يقرب  
له الضحايا البشرية ، يضحي بأول غلام يأتيه ، حتى إذا جاء  
العهد المسيحي أصبح الزاهد يضحي للآله بكل غراثه  
وميوله الطبيعية

والآن ماذا يملك عليه ليضحي به ؟ ألم ينته دور التضحية  
له بكل عزيز ؟ أليس الأجدد الآن تضحية الآله نفسه ؟ وعبادة  
الحجر والسهم والشقل والحظ والعدم إيماناً في مجافاته ؟ وهكذا  
تجد رسول المعرفة الذي لم يهو في مهواة الشك ، المؤمن بالحقيقة ،  
الجرىء على خلق مثل أعلى ، الشديد إيمانه بالعقل السامى والفضيلة ،  
تجده - إذا نزع رداءه - زاهداً ينكر الوجود ، ومتشاكماً يفر  
من الحياة ، لأنه يابى أن يستسلم إلى الوم ، إلى الكذب اللازم  
للحياة ، انه عدى كالمسيحي يعمل على أن يقذف بالانسانية  
في هاوية العدم

مهل هماروى

(ينبع)

## كتاب

### وحى القلم

أصبحت قيمة الاشتراك في هذا الكتاب  
ثلاثين قرشاً غير أجرة البريد وهي لداخل القطر  
ثلاثة قروش

ومن أول فبراير لا يقبل الاشتراك البتة ،

والثن بعد الطبع أربعمون قرشاً

والاشتراك بالقيمة الجديدة يرسل باسمنا إلى طنطا

والمقيمون في القاهرة يشتركون من إدارة الرسالة

مصطفى صادق الرافعى

إن مسألتنا التي نبتنى حلها ليست بجملة اعتراضات ،  
ولا فوز في المنطق ، وإنما مسألتنا هذه : « ما هو الأجدى نفعاً  
لحفظ الحياة وصيانة النوع ووقاية الحيوان ؟ » وإنا لنستطيع  
أن نقول بدون تردد : إن الأفكار والأحكام الأكثر بعداً عن  
الحقيقة هي عندنا من الأشياء التي لا تُنصرف عنها : ولو أن  
البشرية استفتت عنها لما استطاعت الحياة ، إذا كان الوجود  
جسوداً بالحياة نفسها وإعداماً لها

ولكن لو فرضنا أن الكذب أكثر بما والحقيقة أكثر  
شؤماً ، فإن رجل العلم لا ينجح - إذ ذاك - إلى الحقيقة طمعاً  
في قائمة أورهية من شيء ، وإنما ينجح اليها ويتواقع عليها لأنه نشأ  
على ألا يمدح نفسه ولا غيره مهما كانه ذلك . تراه يضحي بسعادته  
وبالبشرية في سبيل الحقيقة ، هذه الحقيقة المقدسة التي راح  
يسمها المسيحي إلهاً

ومما لا ريب فيه أن ناشد الحقيقة يضع إيمانه في وجود  
غير هذا الوجود ، وحياة غير هذه الحياة . فإذا تراه يضع  
في وجودنا هذا يمد انصرافه عنه ؟ هل يجد غير الوجود به ؟  
ولكن رويداً ، أريد أن أقول : إن اعتقادنا العلمى مبني على  
اعتقادنا النظرى . وإننا نحن مفكرى اليوم ، الجاحدين التناكرين  
نستمد النار التي تحرضنا وتشيرنا من المعجزة التي أضرمتها نار  
العقائد كثيراً ، ومن ذلك الإيمان المسيحي الذي شابه الإيمان  
الأفلاطونى القائل بأن الله هو الحقيقة وأن الحقيقة هي آلهيته

إن رسول الجيل الحاضر لم يجرؤ على أن يشك في القيم الحالية  
الموروثة ، لم يجرؤ على القول : ما هي قيمة الحقيقة وما هي قيمة  
ذلك الأمر المطلق للفضيلة التي تأمرنا بسلوك طريق الحقيقة ؟  
إنه وقف مكتوف اليدين إزاء مسألة الحقيقة والفضيلة . إنه لم يقل  
لماذا وجب على الانسان أن يعرف كنه هذه الطبيعة التي نحمها  
اليوم كقوة عمياء ، غير عاقلة لا تمأ بالخير ولا بالشر ، فيها قوة  
الخصب والتوليد ؟ تنجب دائماً مخلوقات جديدة لتضحي بها  
لغايات لا معنى لها ، ولا عاطفة في صدرها ... وإذا كانت هذه  
خالها فلماذا كتب الانسان على نفسه التضحية بها في سبيل مثل  
هذه الألوهية ؟

يرى نيتته أن الرغبة في الحقيقة مثلها مثل الصبغة المصرية